الآيات ١٩٨-٢٠٣

معاني مناسك عرفة ومزدلفة ومِنى

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٢٠٠): كان أهل الجاهلية يقفون في المواسم، فيقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات، ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله تعالى على نبيه سيّدنا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ يعني: ذكر آبائهم في الجاهلية، أو أشد ذكرًا[1].

كانت عادة العرب إذا قضت حجها تقف عند الجمرة، فتفاخِر بالآباء، وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم، وغير ذلك، حتى إن الواحد منهم ليقول: اللهم إن أبي كان عظيم القبة، عظيم الجفنة، كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته، فلا يذكر غير أبيه. فنزلت الآية ليُلزموا أنفسهم ذكر الله أكثر من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية، وهو قول جمهور المفسرين[2].

نزول آخر الآية (٢٠٠) والآيتين (٢٠٠ - ٢٠١): عن ابن عباس، قال: "كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف فيقولون: اللهم اجعل عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئًا، فأنزل الله فيهم: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾"[3].

المناسبة: بعد أن حضّ الله تعالى على التقوى والتزوّد ليوم الحساب ومخافة الله، وبعد أن منع الله تعالى الجدال في الحجّ، وحيث إنّ المعاملات التجاريّة تُفضي عادة إلى الجدال والمخاصمة، جاءت آية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ للاستدراك ممّا قد يُفهم أنّ التجارة مظنّة المنع، أي ممنوعة في الحجّ، والإنسان قد يكون شديد الحاجة، فدفعًا لذلك التوهم أباح الله تعالى الاتّجار أثناء الحجّ، لأنّ ذلك سعي من أجل الرزق، والرزق أو الكسب فضل من الله غير محظور، لأنّه لا ينافي الإخلاص في هذه العبادة، فلا مانع من انضمام قصد الاتّجار إلى الحجّ، وإنّما الممنوع هو قصد التجارة فحسب. وقد تحرّج المسلمون من التجارة في بادئ الأمر، خشية التأثير على العبادة، كما بينا في سبب النزول، فكانوا يقفلون حوانيتهم، فأعلمهم الله أنّ الكسب فضل من الله لا إثم فيه مع إخلاص العبادة.

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عبّاس، ج٢، ص٣٥٥.
(٢) ذكره القرطبيّ في تفسيره، باب: سورة البقرة، الآية: ٢٠٠، ج٢، ص٤٣١.
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عبّاس، ج٢، ص٣٥٧.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لا حرج ولا إثم عليكم في التّجارة في أثناء أشهر الحجّ، فإنّ التجارة الدُّنيويّة لا تنافي العبادة الدّينيّة، وقد كانوا في الجاهليّة يقيمون أسواقًا للتّجارة في موسم الحج، فلمّا جاء الإسلام تأثّموا من ذلك، فنزلت هذه الآية تبيح لهم الاتّجار في أشهر الحجّ.

وهذا إشعار لهم أنّ هذا الدّين لم يُفرض عليهم ليحرمهم من الكسب ويعطّل مواهبهم، ولكن ليهديهم أقوم السّبل ويحفزّهم إلى أسمى الغايات.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ عند المزدلفة، سُمّي مشعرًا لأنّه معلم العبادة، أي: إذا دفعتم من عرفات بعد الوقوف بها فاذكروا الله بالدُّعاء والتّضرُّع والتّكبير والتّهليل عند المشعر الحرام بالمزدلفة. وقد جاء في الحديث، أَنَّ النّبيّ ﷺ دَعَا لِأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِالْمَغْفِرَةِ، فَأُجِيبَ: «إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلَا الظَّالِمَ، فَإِنِّي آخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، إِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ الْمَظْلُومَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ» فَلَمْ يُجَبْ عَشِيَّتَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ، فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ- أَوْ قَالَ: تَبَسَّمَ- فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! إِنَّ هَذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا الَّذِي أَضْحَكَكَ؟ أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ! قَالَ: «إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ، لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللهَ تعالى قَدْ اسْتَجَابَ دُعَائِي، وَغَفَرَ لِأُمَّتِي، أَخَذَ التُّرَابَ فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ»[1].

وقد سُمّيت عرفة لأنّ الله عرّف آدم فيها على التّوبة، فتعرّف آدم فيها إلى اسم الله التّواب، وتعرّف على سبب نزوله إلى الأرض ليتعرّف إلى أسماء الله الحسنى. فعَنِ ابْنِ عبّاس ﷺ، عَنِ النّبيّ ﷺ، قَالَ: «أَخَذَ اللهُ الميثاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بنَعْمانَ، يعني بعَرَفَة، فأخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كلَّ ذُرِّيَّة ذَرَأها فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كالذَّرّ، ثمّ كَلَّمَهُمْ قَبلًا فقالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾» [2] قال ﷺ: «أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ ذُرِّيَّةً ذَرَاهَا فَنَثَرَهُمْ نَثْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثمّ كَلَّمَهُمْ، فَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[3]» [4]. ففي الحديثِ يقولُ النّبيّ ﷺ: **أَخَذَ اللهُ الـمِيثاقَ**، أي العهدَ **مِن ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ** وهو وادٍ في مكّةَ وراءَ عَرَفَةَ، يُقال له: نَعْمَانُ الأَرَاكِ، أو نَعْمَانُ السَّحَابِ، "يعني بعَرَفَةَ"، أي مُوافِقًا يومَ عَرَفَةَ، وهو يومُ التّاسعِ مِن ذي الحِجَّةِ، **فأَخْرَجَ مِن صُلْبِه**، أي مِن فَقراتِ ظَهْرِه، **كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَاها**، أي كُلَّ نَسَمَةٍ هو خَالِقُها إلى يومِ القيامةِ،**فنثَرَهم بين يَديهِ كالذَّرِّ** والمعنى أنَّه سُبحانه نشَرَهم وفرَّقَهم وألْقاهم مِثْلَ النّملِ الصّغيرِ؛ بَيانًا لكثْرَتِهم،**ثمّ كلَّمَهم قُبُلًا** والمعنى خاطَبَهم اللهُ سُبحانه مُواجَهةً عِيانًا ومُقابلةً، لا مِن وَراءِ حِجابٍ،

(١) رواه ابن ماجة في سننه، عن عبّاس بن مرداس، حديث رقم: ٣٠١٣، كتاب: أبواب المناسك، باب: الدعاء بعرفة.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٤٠٠٠، كتاب: تواريخ المتقدّمين من الأنبياء والمرسلين، باب: ذكر آدم عليه السّلام، الحديث إسناده صحيح.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢-١٧٣..

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٧٥، كتاب: الإيمان، باب: وأمّا حديث معمر، الحديث إسناده صحيح.

"قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾" فأجابوا: أنت رَبُّنا، أنت رَبُّنا، والصّحيحُ أنَّ جَوابَهم بقولهم: ﴿بَلَى﴾ كان بالنُّطقِ، وهم أحياءٌ، عُقلاءُ. ﴿شَهِدْنَا﴾ هذا مِن تَتِمَّةِ المَقُولِ، أي شَهِدْنا على أنْفُسِنا بذلك، وأقْرَرْنا بوَحْدانيَّتِك، ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي حتّى لا تقولوا يومَ القيامَةِ: فعَلْنا ذلك كَراهةً، أو المعنى: أنْ تَقُولوا احتجاجًا ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾، أي الميثاقِ أو الإقرارِ بالرُّبوبيَّةِ، ﴿غَافِلِينَ﴾ أي جاهلينَ لا نَعْرِفُه، ولا نُبِّهْنا عليه.

وعن ابن عبّاس ﷺ، أَنَّ اللهَ مَسَحَ صُلْبَ آدَمَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ كُلَّ نَسَمَةٍ هُوَ خَلَقَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَخَذَ مِنْهُمُ الْمِيثَاقَ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْأَرْزَاقِ ثمّ أَعَادَهُمْ فِي صُلْبِهِ فَلَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يُولَدَ مَنْ أَعْطَى الْمِيثَاقَ يَوْمَئِذٍ فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمُ الْمِيثَاقَ الْآخِرَ فَوَفَّى بِهِ نَفَعَهُ الْمِيثَاقُ الْأَوَّلُ ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يفِ بِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ الْمِيثَاقُ الْأَوَّلُ وَمَنْ مَاتَ صَغِيرًا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ الْمِيثَاقَ الْآخَرَ مَاتَ عَلَى الْمِيثَاقِ الْأَوَّلِ عَلَى الْفِطْرَةِ[1].

وعن شَدَّاد بْن أَوْسٍ ﷺ، عَنِ النّبيّ ﷺ قال: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[2] لذا جدّد عهدك أيّها المسلم مع الله في كلّ يوم صباحًا ومساءً.

﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي: اذكروه ذكرًا حسنًا كما هداكم هداية حسنة، واشكروه على نعمة الهداية والإيمان فقد كنتم قبل هدايته لكم في عداد الضّالين، الجاهلين بالإيمان وشرائع الدّين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾، أي: ثمّ انزلوا من عرفة حيث ينزل النّاس لا من المزدلفة، والخطاب لقريش حيث كانوا يترفعون على النّاس أن يقفوا معهم وكانوا يقولون: نحن أهل الله وسُكان حرمه فلا نخرج منه فيقفون في المزدلفة، لأنّها من الحرم، ثمّ يفيضون منها وكانوا يسمون "الحُمس" فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يأتي عرفة ثمّ يقف بها ثمّ يفيض منها.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: استغفروا الله عمّا سلف منكم من المعاصي فإنّ الله عظيم المغفرة واسع الرّحمة.

ففي عرفة يجب الاعتراف بجميع الذّنوب دقّها وجلّها دون أدنى تبرير، والتّبرؤ من جميع الكبائر والتّحلّي بالأخلاق المحمّديّة، وتجديد العهد مع الله حتّى يُقبل الحجّ.

لذا يجب أن يتحقّق معنى العبودية لله تعالى، فليس لأحد أن يطلب إقناعه بالأوامر التّعبدية كالصّلاة، أو الصّيام، أو الحجاب، واعلم أيّها الإنسان بأنّك عبد لله ولست ندًّا له.

ومن السنّة عند استلام الحجر الأسود أو تقبيله أوّل الطّواف، أن يقول «بِسْمِ اللهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ»[3] وإن زاد «اللهمَّ إِيمَانًا بِكَ وَتَصْدِيقًا بِكِتَابِكَ وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ»[4] فيستحبّ له ذلك.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، عن ابن عبّاس، باب: سورة الأعراف، الآيات: ١٧٢-١٧٤، ج٣، ص٤٥٣.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن شدّاد بن أوس، حديث رقم: ٦٣٠٦، كتاب: الدعوات، باب: أفضل الاستغفار.
(٣) رواه أحمد في مسنده، عن نافع، حديث رقم: ٤٦٢٨، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند، عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، الحديث إسناده صحيح
(٤) رواه الطّبرانيّ في المعجم الصغير، عن عبد الله بن السائب، حديث رقم: ١٦١٢، كتاب: المناسك، باب: دخول مكّة.

يبدأ حجّاج بيت الله الحرام منذ شروق شمس اليوم التّاسع من ذي الحجّة بالتّدفّق إلى صعيد عرفات، لأداء ركن الحجّ الأعظم وهو الوقوف بعرفة، بعد أن قضوا في مشعر منى يوم التّروية. ويوم عرفة هو يوم من أيّام الله تعالى، شرّفه الله وفضّله بفضائل كثيرة، سنذكر بعضًا من فضائل يوم عرفة:

- **أنّه أفضل الأيّام:** عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي، فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ أَكْثَرُ عِتْقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ**»[١].
- **أنّه يوم إكمال الدّين وإتمام النّعمة:** قَالَتِ الْيَهُودُ لِعُمَرَ: إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ آيَةً لَوْ نَزَلَتْ فِينَا لَاتَّخَذْنَاهَا عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ حَيْثُ أُنْزِلَتْ، وَأَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَأَيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَتْ: يَوْمَ عَرَفَةَ وَإِنَّا وَاللهِ بِعَرَفَةَ- قَالَ سُفْيَانُ: وَأَشُكُّ- كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَمْ لَا " ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[٢]" [٣]، وإكمال الدّين في ذلك اليوم حصل لأنّ المسلمين لم يكونوا قد حجّوا حجّة الإسلام من قبل، فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلّها، ولأنّ الله أعاد الحجّ على قواعد إبراهيم عليه السلام، ونفى الشّرك وأهله فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد. أمّا إتمام النّعمة فإنّما حصل بالمغفرة، فلا تتمّ النّعمة بدونها، كما قال الله تعالى لنبيّه ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ**﴾[٤].
- **أنّه اليوم المشهود:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**أَفْضَلُ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَهُوَ شَاهِدٌ، وَمَشْهُودٌ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**»[٥].

إنّ الوقوف في عرفة صورة عن وقوف الخلائق يوم المحشر في ساحة الحساب بين يدي الله تعالى. وربّما كان الوقوف في عرفة مناسبة ليستحضر العبد طول وقوفه يوم القيامة، ممّا يزيد في خشوعه وتضرّعه فيخلص في نيّته لله تعالى. وتفسير اليوم المشهود بعرفة، جاء على لسان أهل الله في تفسير قوله تعالى ﴿**ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ**﴾[٦]، قال: "المشهود يوم عرفة، والمجموع له النّاس يوم القيامة".

- **أنّه يوم مغفرة الذّنوب والعتق من النّار:** عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ، قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**»[٧] وهذا يدلّ على أنّهم مغفور لهم، لأنّه تعالى لا يباهي بأهل الخطايا والذّنوب إلا بعد التّوبة والغفران[٨].

﴿**فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾**﴾.

(١) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن جابر، حديث رقم: ٣٨٥٣، كتاب: الوقوف بعرفة والمزدلفة والدفع منهما، باب: ذكر رجاء العتق من النار لمن شهد عرفات يوم عرفة، الحديث صحيح.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن طارق بن شهاب، حديث رقم: ٤٦٠٦، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٢.
(٥) رواه البيهقيّ في شعب الإيمان، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٣٤٨٢، كتاب: الصيام، باب: تخصيص أيّام العشر من ذي الحجّة بالاجتهاد بالعمل فيهنّ، الحديث صحيح لغيره.
(٦) سورة هود، الآية: ١٣.
(٧) رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة، حديث رقم: ١٣٤٨، كتاب: الحجّ، باب: في فضل الحجّ والعمرة، ويوم عرفة.
(٨) ذكره ابن عبد البرّ في التمهيد لما في الموطّأ من المعاني والأسانيد، باب: وله حديث واحد مرسل، ج١، ص١٢٠.

يأمر الله تعالى عباده بالإكثار من ذكره بعد قضاء المناسك وفراغها، قائلًا: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أي اِلهجوا بذكر الله بعد قضاء النّسك، كما يلهج الصبيّ بذكر أبيه وأمّه، فقد كان أهل الجاهليّة يقفون في الموسم ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فقال تعالى: ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ والمقصود الحثّ على كثرة ذكر الله ﷻ.

ثمّ إنّه تعالى أرشد إلى دعائه بعد كثرة ذكره، فإنّه مظنّة الإجابة، وذمّ من لا يسأله إلا في أمر دنياه وهو معرض عن أخراه، فيبيّن مقاصد النّاس وهممهم في طلبهم في الحجّ وغيره، فقال: ﴿فَمِنَ النَّاسِ﴾ من قصرت نيّته وانحطّت همّته، ﴿يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ ما تشتهيه نفوسنا من حظوظها وشهواتها، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ وليس له في الآخرة من نصيب ولا حظّ، وتضمّن هذا، الذمّ والتّنفير عن التّشبّه بمن هو كذلك، لأنّه عجّل نصيبه في الدّنيا، فالله تعالى يرزق العبد على قدر نيّته، ومنهم من أراد كرامة الدّنيا وشرف الآخرة، ومنهم من يطلب لحياتيه معًا ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كالمعرفة، والعافية، والمال الحلال، والزّوجة الحسنة، وجميع أنواع الجمال، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ كالنّظرة، والحور العين، والقصور، وجميع أنواع النّعيم. فجمعت هذه الدّعوة كلّ خير في الدّنيا، وصرفت كلّ شرّ، فإنّ كلّ حسنة في الدّنيا تشمل كلّ مطلوب دنيويّ، من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيّ، وثناء جميل، إلى غير ذلك ممّا اشتملت عليه عبارات المفسّرين، ولا منافاة بينها فإنّها كلّها مندرجة في الحسنة في الدّنيا. وأمّا الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك: دخول الجنّة وتوابعه، من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصّالحة. ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ اِحفظنا من الشّهوات والذّنوب المؤدّية إلى النّار بالعفو والمغفرة. فالنّجاة من النّار يقتضي، تيسير أسبابه في الدّنيا، من اجتناب المحارم والآثام، وترك الشّبهات والحرام.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أولئك الذين طلبوا خير الدّارين، لهم نصيب وحظّ من جنس أعمالهم من الجزاء الوافر، من أجل ما كسبوا من الأعمال الصّالحات، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لا يضيع عنده مثقال ذرّة، فيحاسب عباده على كثرتهم وكثرة أعمالهم في لمحة، فبادروا إلى اغتنام الطّاعات، واكتساب الحسنات، قبل هجوم الممات.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

الأيّام المعدودات أيّام التّشريق، والأيّام المعلومات أيّام العشر. ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ المراد بالذّكر التّكبير في كلّ يوم من أيّام التّشريق عند الرّمي، وذبح القرابين، وخلف الصّلوات الخمس، وغير ذلك، وفي وقته أقوال للعلماء: أشهرها الذي عليه العمل أنّه من صلاة الصّبح يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيّام التّشريق، وهو آخر النّفر الآخر. ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ وهي ثاني أيّام النّحر وثالثة ورابعه، ووقت الأضحية من يوم النّحر إلى آخر أيّام التّشريق، وهي أيّام تتذكّر فيها ذنوبك وعيوبك، وتسأل الله أن يتوب عليك منها.

- **وفكرة رمي الجمرات هي التّوبة بعد المغفرة. فالمغفرة أن تسأل الله تعالى أن يمحو ذنبًا فعلته كالغيبة، أمّا التّوبة فهو أن تتوب من عيوبك كحبّك للغيبة. فالمغفرة تكون في عرفة، والتّوبة تكون في أيّام التّشريق حيث ترمي**

الجمرات- ٧٠ جمرة بعدد الكبائر السّبعين- فبعد أن تستغفر من هذه الكبائر في عرفات، تسأل الله تعالى أن يطهّر قلبك من التّعلّق بهذه المعاصي عند رمي الجمرات في أيّام التّشريق.

- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهُنَّ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ**»[1] وقال رسول الله ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ**»[2]. وأيّام منى ثلاثة، ﴿**فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ بحيث رمى ثاني النّحر وثالثه، ورجع، ﴿**فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ**﴾ لرمي رابع النّحر، وهو ثالث أيّام منى، ﴿**فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ**﴾، والقصد بنفي الإثم: التّخيير والردّ على الجاهليّة، فإنّ منهم من أثّم المتعجّل، ومنهم من أثّم المتأخّر، هذا كلّه ﴿**لِمَنِ اتَّقَى**﴾ الله في حجّه، فلم يرفث، ولم يفسق، فإنّه يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه، كما قال الصّادق المصدوق، قال أهل الله: من أراد الجنّة فليتعجّل، ومن أراد الله فليتأخّر.

- **وسمّيت ليلة رابع أيّام العيد، ليلة البيعة، وهي اللّيلة التي بايع فيها الأنصار رسول الله ﷺ على السّمع والطّاعة في بيعة العقبة.** ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ في جميع أموركم، فإنّه ذكر وشرف لكم، ولمّا ذكر الله تعالى النّفر الأوّل، والثّاني وهو تفرّق النّاس من موسم الحجّ إلى سائر الأقاليم والآفاق، بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف قال: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ أي تذكّروا الحشر في معاني الحجّ، فسوف تجازون على ما أسلفتم من خير أو شرّ.

- وقد ورد ذكر التّكبير بصيغ متعدّدة، كلّها يفي بالمطلوب منها ما رُوي عن سلمان الفارسيّ ﷺ أنّه كان يقول: **"كَبِّروا؛ اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبَرُ اللهُ أكبَرُ كَبيرًا -أو قال: تَكبيرًا-..."**[3]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ غَدَاةَ عَرَفَةَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**عَلَى مَكَانِكُمْ**» ثمّ يَقُولُ: «**اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ وَللهِ الْحَمْدُ**» فَيُكَبِّرُ مِنْ غَدَاةِ عَرَفَةَ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ"[4].

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن عقبة بن عامر، حديث رقم: ١٥٨٦، كتاب: الصوم، باب: وأمّا حديث شعبة، الحديث صحيح.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن نبيشة الهذليّ، حديث رقم: ١١٤١، كتاب: الصيام، باب: تحريم صوم أيّام التشريق.
(٣) رواه البيهقيّ في فضائل الأوقات، عن أبي عثمان النهديّ، حديث رقم: ٢٢٧، باب: في فضل أيّام التشريق.
(٤) رواه البيهقيّ في فضائل الأوقات، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ٢٢٥، باب: في فضل أيّام التشريق.

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. حرمة الرّفث والفسوق والجدال في الإحرام.
٢. الحجّ المبرور هو الحجّ الذي لا رفث ولا فسوق ولا جدال فيه.
٣. استحباب فعل الخيرات للحاجّ أثناء حجّه ليعظم أجره ويبرّ حجّه.
٤. إباحة الاتّجار والعمل للحاجّ طلبًا للرّزق إذا كان محتاجًا لذلك، على أن لا يحجّ لأجل ذلك.
٥. وجوب المبيت بالمزدلفة لذكر الله تعالى.
٦. وجوب شكر الله تعالى بذكره وطاعته على هدايته وإنعامه.
٧. وجوب المساواة في أداء مناسك الحجّ بين سائر الحجّاج، فلا يتميّز بعضهم عن بعض في أيّ شعيرة من شعائر الحجّ.
٨. التّرغيب في الاستغفار والإكثار منه.
٩. وجوب الذّكر بمنى عند رمي الجمرات، إذ يكبّر مع كلّ حصاة قائلًا الله أكبر.
١٠. فضيلة الذكر والتّرغيب فيه لأنّه من محابّ الله تعالى.
١١. فضيلة سؤال الله تعالى خيريّ الدّنيا والآخرة، وعدم الاقتصار على أحدهما، وكراهة الاقتصار على طلب الدّنيا وحطامها. فضيلة دعاء ﴿رَبَّنَآ آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. فهي جامعة للخيرين معًا، لذا كان
١٢. النّبيّ ﷺ إذا طاف بالبيت ختم بها في كلّ شوط.
١٣. وجوب المبيت ثلاث ليال بمنى ووجوب رمي الجمرات، إذ بها يتأتّى ذكر الله في الأيّام المعدودات وهي أيّام التّشريق.
١٤. الرّخصة في التّعجل لمن رمى اليوم الثّاني قبل المغرب.
١٥. الأمر بتقوى الله وذكر الحشر والحساب والجزاء، إذ هذا الذّكر يساعد على تقوى الله ﷻ.

من أسماء الله الحسنى: الغفور الرحيم

في الأمر والنّهي

- استعن بالله تعالى، وضع خطّة زمنيّة ماليّة توفّر فيها احتياجاتك الماليّة، وتكفّ بها نفسك عن ذلّ السّؤال، مع الحرص على ألّا تشغلك عن أوامر الله تعالى، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.
- استغفر كلّ اليوم بعد كلّ عبادة وعمل صالح؛ اعترافًا بالتّقصير، وجبرًا للنّقص، واجعل الاستغفار صفة دائمةً لك، ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

في الأخلاق والآداب

التوجيهات:

- المدركون لمقاصد العبادات هم الأحسن علمًا وخلقًا، ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[١].
- اِهتمّ بالأسباب الشّرعيّة كما تهتمّ بالأسباب الماديّة- الطّعام والشّراب- ؛ كصلاح القلب وتقواه، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾[٢].
- لا تحقرنّ من المعروف شيئًا مهما صغر؛ فالصّغير في عينك قد يكون كبيرًا عند الله سبحانه، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[٣].
- إذا وُفّقت لتقوم بحقٍّ طلبه تعالى- بعد عبادة الحجّ أو أيّ عبادة أخرى- فاذكر فضله عليك؛ فلولا أنّه أَرَادَكَ لما أَرَدْتَهُ، ولولا أنّه اختارك لما آثرتَ رضاه، فاشكر الله تعالى بعد كلّ عبادة على ما وفّقك الله تعالى. وإذا خطر ببالك أنّك فعلت شيئًا- من عبادة أو معروف-، بقدرتك أو باجتهادك فاستغفرْ الله، وجَدِّدْ إيمانك فإنّه شِرْكٌ خَفِيٌّ خَامَرَ قلبَك، فإنّ الله تعالى هو الذي أجرى هذه العبادة عليك.

عَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: "كَانَ النّبيّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الخَنْدَقِ، حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنَهُ، أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ، يَقُولُ: ﴿وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا، إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا﴾ وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: ﴿أَبَيْنَا أَبَيْنَا﴾"[٤].

في السّيرة والشّمائل

يَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَاتٍ:

كُلّ من وقف بعرفات، غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه، وعاد كيوم ولدته أمّه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: وقفَ النَّبيُّ ﷺ بـ عرفات وقد كادت الشَّمسُ أن تؤوبَ، فقال: ﴿يا بلال! أَنصِتْ لي النّاسَ؟ فقام بلال، فقال: أَنْصِتوا لرسولِ الله ﷺ، فأنصتَ النّاسُ، فقال: معاشرَ النّاسِ! أَتاني جبرائيل آنفًا، فأقرأني من رَبّي السَّلامَ، وقال: إنَّ الله -عزّ وجلّ- غفرَ لأهلِ عرفاتٍ، وأَهل المَشْعَر، وضَمِنَ عنهم التبعاتِ. فقام عمر بنُ الخطاب فقال: يا رسول الله! هذا لنا خاصة؟ قال ﷺ: هذا لكم، ولمن أتى من بعدِكم إلى يوم القيامة. فقال عمر بن الخطاب: كثرَ خيرُ الله وطابَ﴾[٥].

توضيح حول الحديث:

وقف النَّبيُّ ﷺ يوم عرفة فدعا الله تعالى، وقال: يا ربِّ كُلُّ من وقف في هذا الموقف اغفر له. اغفر له. فاستجاب الله دعاءه وأخبره أنَّ كُلَّ مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ غفر اللهُ لَهُ ثُلُثَ ذُنُوبِهِ.

ففرح ﷺ ثمَّ استزاد في الدُّعاء، فقال: يا ربِّ من وقف في هذا الموقف اغفر له باقي ذنوبه... اغفر له باقي ذنوبه يا ربِّ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن البراء، حديث رقم: ٤١٠٤، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب.
(٥) رواه المنذري في صحيح الترغيب والترهيب، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ١١٥١، كتاب: الحج، باب: الترغيب في الوقوف بعرفة والمزدلفة، وفضل يوم عرفة.

فأعطاه الله تعالى أَنَّهُ مَنْ وَقَفَ فِي هَذا المَوْقِفِ غَفَرَ اللهُ لَهُ ثُلُثَي ذُنُوبِهِ. ففرح رسول الله ﷺ بهذا العطاء الكبير. ثمَّ استزاد من الله ﷻ، فما زال يدعو ويبكي يوم عرفة حتَّى أعطاه الله سبحانه وتعالى: «مَنْ حَجَّ لِلّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[1] أنَّه من وقف إلى غروب الشَّمسِ من يومِ عرفة غفر الله له جميع ذنوبه، وعاد كيوم ولدته أمُّه، إلَّا التَّبعات. والتَّبِعاتُ هِيَ حُقوقُ العِبادِ، مِثْلَ: سَرِقَةُ مالٍ أَوْ أَخْذُ مالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلا بُدَّ مِنْ إِعادَتِها إلى أَصْحابِها.

فَسُرَّ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَخْبَرَ المُسْلِمِينَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لهم، وَلِكُلِّ مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ مِنْ أُمَّتِهِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ. فَلَمْ يَكُنْ يَسْأَلُ لِأَجْلِ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم فَقَطْ، بَلْ لِكُلِّ أُمَّتِهِ. كانَ يَسْأَلُ وَيَطْلُبُ مِنَ اللهِ تَعالى المَغْفِرَةَ لِكُلِّ مَنْ يَأْتِي وَيَقِفُ في عَرَفاتٍ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ يَوْمِ القِيامَةِ. فأعطاه الله تعالى مطلبه.

فكُلّ مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ صادِقًا، وَأَدْرَكَ غُرُوبَ الشَّمْسِ، يُغْفَرُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَيَعُودُ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. تُغْفَرُ جَمِيعُ ذُنُوبِهِ، الكَبائِرُ وَالصَّغائِرُ، إِلَّا التَّبِعاتِ الَّتِي هِيَ حُقوقُ العِبادِ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِعادَتِها.

فأفاض النَّبِيُّ ﷺ إلى مزدلفة قرير العين، ثمَّ وقف في مزدلفة عند الفجر.

انظر إلى حبّه ﷺ الواسع لأمَّــته، وإلى ظنّه الواسع بربّه.

فقال: يا ربِّ من لم يستطع من أمّتي أن يؤدّي هذه التَّبعات إلى أصحابها؟

فما زال يدعوا ﷺ ويقول: يا ربِّ... يا ربِّ... يا ربِّ... حتّى أعطاه الله تعالى أنّه من وقف في مزدلفة إلى الفجر، تحمَّل الله تعالى عنه التَّبعات التي لا يستطيع إعادتها، ويرضي هؤلاء الخصوم. أمَّا إذا كان يستطيع إرجاعها فعليه إرجاعها. فالنَّبيُّ ﷺ كان يستزيد ويستزيد من اسم الله الواسع.

موقف النّبيّ ﷺ على جبل الرّحمة:

في عرفات مسجد يُقال له الصّخرات، وهو أسفل جبل الرّحمة على يمين الصّاعد إليه، وهو مرتفع قليلًا عن الأرض يحيط به جدار قصير وفيه صخرات كبار، وقف عندها رسول الله ﷺ عشية عرفة وهو على ناقته القصواء، وأحيط هذا الموقف بجدار.

كان رسول الله ﷺ يرشد الدّاعي إلى أن يوقن بالإجابة عنده.

الإيقان هو أن يدعوَ الله عن قلب شاهد، لا عن قلب غافل. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ تعالى، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ»[2].

ومن آداب الدّعاء الواردة عنه ﷺ: أنّه كان يستحبّ الجوامع من الدّعاء: فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان رسولُ الله ﷺ يَستحِبُّ الجَوامِعَ مِن الدُّعاء، ويَدَعُ- يترك- ما سِوى ذلك"[3]. والمراد بجوامع الدّعاء، ما جمع مع وَجازته خيريّ الدّنيا والآخرة، وقيل: هي التي تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة. وهذا أوجهُ ما قيل في معنى جوامع الدّعاء.

(١) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٥٢١، كتاب: الحج، باب: فضل الحج المبرور.

(٢) رواه أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم: ٦٦٥٥، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود في سننه، عن عائشة، حديث رقم: ١٤٨٢، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: الدعاء، الحديث إسناده صحيح.

من جوامع أدعيته العامّة ﷺ: عن أنس رضي الله عنه قال: "كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿اللهمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾"(١). قيل في ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: هي المرأة الصّالحة، العافية والكفاف، العلم والعبادة، المال الصّالح، الأولاد الأبرار أو ثناء الخلق، وقيل هي صحبة الصّالحين. والحسنة الكاملة في الدّنيا ما يشمل جميع حسناتها، وهو توفيق الخير. وقيل في ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي: الجنّة، والسّلامة من هول الموقف وسوء الحساب، وقيل: الحور العين، ولذّة الرؤية- رؤية الباري ﷻ- وقيل هي الرّحمة والإحسان.

وعن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟﴾ قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ- أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ- أَفَلَا قُلْتَ: اللهمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ"(٢).

وسَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، قَالَ: "كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: ﴿اللهمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ"(٣).

في السّلوك

الإشارة: العبد لا يستغني عن طلب الزّيادة، ولو بلغ من الكمال غاية النّهاية، فالقناعة من الله حرمان، واعتقاد بلوغ النّهاية نقصان، فليس عليكم جناح أيّها العارفون أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن ربّكم زيادة في إيقانكم، وترقّيًا في معانيكم، إذ كمالات الحقّ لا نهاية لها، وأسرار الذّات لا إحاطة بها، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٤)..

الإشارة: إذا وقفت القلوبُ على جَبل عرفة عرفت المعارف، وتمكّنت من شهود جمال معاني تلك الزخارف، حتّى صارت تلك المعاني هي روحها وسرّها، وإليها مآلها ومسيرُها، أُمرتْ بالنّزول إلى أرض العبوديّة، والقيام بوظائف الرّبوبيّة، شكرًا لما هداها إليه من معالم التّحقيق، وما أبان لها من منار الطّريق، وإن كانت من قبله لمن الضّالين عن الوصول إلى ربّ العالمين. ثمّ يؤمرون بمخالطة النّاس بأشباحهم، وانفرادهم عنهم بأرواحهم. أشباحُهم مع الخلق تسعى، وأرواحهم في الملكوت ترعى، فإذا وقع منهم ميل أو سكون إلى حِسّ فليستغفروا الله إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. ثمّ يقال لهم: فإذا قضيتم مناسككم، بأن جمعتم بين مشاهدة الرّبوبيّة في باطنكم، والقيام بوظائف العبوديّة في ظاهركم، فاذكروا الله على كلّ شيء، وعند كلّ شيء، وقبل كلّ شيء، وبعد كلّ شيء، حتّى لا يبقى من الأثر شيء، كما كنتم تذكرون آباءكم وأبناءكم، في حال غفلتكم، بل أشدّ ذكرًا وأعظم وأتمّ، والله ذو الفضل العظيم.

الإشارة: النّاس ثلاثة: صاحب همّة دَنِيَّة، وذو همّة متوسّطة، وصاحب همّة عالية.

أمّا صاحب الهمّة الدنيّة فهو الذي أنزل همّته على الدّنيا الدنيّة، وأكبَّ على جمع حطامها الفانية، فقلبُ هذا خالٍ

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أنس، حديث رقم: ٦٣٨٩، كتاب: الدعوات، باب: قول النّبيّ ﷺ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً...﴾.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أنس، حديث رقم: ٢٦٨٨، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن ابن صهيب، حديث رقم: ٢٦٩٠، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء باللهمّ آتنا في الدنيا حسنة...
(٤) سورة طه، الآية: ١١٠.

من حبّ الحبيب، فما له في الآخرة من نصيب. وأمّا صاحب الهمّة المتوسطة فهو الذي طلب سلامة الدّارين، وصلاح الحالين، قد اشتغل في هذه الدّار بما ينفعه في دار القرار، ولم ينسَ نصيبه من الدّنيا ليقْضِي ما له فيها من الأوطار، فهذا له في الدّنيا حسنة، وهي الكفاية والغنى، وفي الآخرة حسنة، وهي النّعمة والسّرور والهنا.

وأمّا صاحب الهمّة العالية فهو الذي رفع همّته عن الكونَيْن، وأغمض طَرْفَه عن الالتفات إلى الدّارين، بل علَّق همّته بمولاه، ولم يقنع بشيء سواه، قد ولّى عن هذه الدّار مُغضيًا، وأعرض عنها مُوليًا، ولم يشغله عن الله شيء، يقول بلسان المقال إظهارًا لعبوديّته للكبير المتعال: رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وهي النّظرة والشّهود، ورضا الملك الودود، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وهي اللّحوق بأهل الرّفيق الأعلى، من المقرّبين والأنبياء، في حضرة الشّهود المؤبّد فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

- ادعوا بالدّعاء الوارد في الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1] في كلّ صلاة، قبل السّلام وبعد الصّلاة الإبراهيميّة.
- دعاء النّبيّ ﷺ الّذي علّمه لسيّدنا أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، ولا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ، فاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً من عِنْدِكَ وارحَمْنِي، إِنَّكَ أَنتَ الغَفورُ الرَّحِيمُ»[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، عن أبي بكر الصديق، حديث رقم: ٨٣٤، كتاب: الأذان، باب: الدعاء قبل السلام.